وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية

محاضرات
في تاريخ أوربا في العصور الوسطى
(٤٧٦ – ١٤٥٣)

الأستاذ الدكتور رائد سامي حميد
قسم التاريخ

المرحلة الاولى

٢٠٢٤ – ٢٠٢٥

المحاضرة الاولى

عوامل سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب

٦- نظرية اداورد گيبون Edward Gibbon :

من مؤرخي القرن الثامن عشر أي عصر التنوير او الاستنارة وسمي ايضاً عصر العقل وهو عصر فولتير وجان جاك روسو وميرابو وغيرهم من المفكرين. لخص ادوارد گيبون آرائه بما يأتي : ان سقوط الإمبراطورية الرومانية يرتبط بعاملين :-

١- انتشار الديانة المسيحية .

٢- تدفق القبائل الجرمانية.

ففي ما يخص العامل الأول، يشير گيبون بأن المسيحية قبل الاعتراف بها في عهد قسطنطين الكبير (٣٠٦ – ٣٣٧) كانت عبارة عن معول هدم لكيان الإمبراطورية، لمخالفة قيمها وتعاليمها للقيم الرومانية السائدة، فمن الناحية السياسية عدت المسيحية مفككة لرابطة الولاء للإمبراطور، لعدم اعتقادها بقدسية الإمبراطور الوثنية، ومن الناحية العسكرية لم تكن تؤمن في بدايتها بالعنف، فهي ضد الحروب وضد العسكرية. اما مواقفها من القضايا الاقتصادية فكانت سلبية لأنها لا تؤمن بالأرباح المادية وكانت تدعو الى الكفاف، كما هو شعارها الرئيس ، وكانت هذه النظرة محبطة للقيم الاقتصادية السائدة في المجتمع الروماني المعتمد على العبودية، وهي ضد الامتيازات الطبقية فدعت الى المساواة الى جانب ذلك، فان الصراع المذهبي بين الطوائف المسيحية كان من أسباب ضعف الإمبراطورية بقسميها الشرقي والغربي.

وفيما يخص النقطة الثانية ، يرى هذا المؤرخ ان **الجرمان** قد أسهموا في بربرة المجتمع الروماني وبالتالي أضعاف القيم السائدة مما أدى الى إرباك الحياة الاقتصادية.

ردت المدرسة التاريخية الألمانية على طروحات گيبون اذ دافعت عن المسيحية لان للكنيسة رسالة إنسانية ، وعملت على ترويض القبائل الجرمانية الغازية وحفظت التراث الروماني وأدت دوراً تثقيفياً طيلة العصور الوسطى أما عن الجرمان فقد دافعت المدرسة التاريخية الألمانية عنهم على اعتبار ان هذه القبائل لم تحاول اقتحام الإمبراطورية بالقوة دائماً وإنما كان توغلها سلمياً أحيانا للعيش والاحتماء فأنخرط الجرمان في الجيش وعملوا كفلاحين وكانت القبائل الجرمانية

عنصر قوة في المجتمع الروماني بعد ان أصابه التدهور والانحلال الخلقي وكان الجرمان أرقى خلقاً من الرومان .

٧ – نظرية هنري بيرين .

يرى المؤرخ البلجيكي هنري بيرين ان وصول العرب المسلمين الى منطقة البحر المتوسط واندفاعهم نحو الشمال الإفريقي في سنة (٦٣٤م) وفتحهم الأندلس عام (٧١١م) قد أدى الى تحويل منطقة البحر المتوسط الى **بحيرة إسلامية** ، بعد أن كانت حتى أواخر القرن الثامن الميلادي **بحيرة رومانية**. وقد عبر عن نظريته في كتابه **(محمد وشارلمان)** Mohamed and Charlemagne. وهكذا فأن القبائل الجرمانية لم تؤد الى سقوط الإمبراطورية الرومانية بل ان وصول العرب المسلمين الى اسبانيا وانتشارهم في السواحل الشرقية للبحر المتوسط هو الذي قضى على الثقافة والحضارة الرومانية في المنطقة . وهذه من المغالطات التاريخية الكبيرة اذ ان تحول البحر الابيض المتوسط الى بحيرة اسلامية كان له اهمية كبيرة من خلال مقارنة الاوضاع التي كانت تعيشها الامبراطورية من عبودية ووثنية .

ولم يكن مستغرباً ان يرى بعض المؤرخين في عهد شارلمان وتتويجه في سنة ٨٠٠م البداية الحقيقية للعصر الوسيط. فقد شهد عهده، اكتمال التحول من العصر القديم الى الوسيط ، وقد اتضح ذلك بسلسلة من التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والفكرية التي شهدها العصر الوسيط . وطبقاً الى بيرين ، فان عهد شارلمان حقق تحولاً سياسياً واقتصادياً جذريا ميزه عن العهد الميروفنجي . فاذا كان الميروفنجيون قد استمروا في مؤسساتهم وتنظيماتهم معتمدين على النظام الروماني المرتبط بمنطقة البحر المتوسط ، فان الكارولنجيين ، وابتداءاً من عهد شارلمان، انعطفوا نحو بحر الشمال، واقاموا سلسلة من المؤسسات الجديدة التي اصبحت ذات اهمية كبيرة في حضارة العصر الوسيط . وقد كان لانتشار الاسلام في الشمال الافريقي واسبانيا ، وتحول البحر المتوسط الى بحيرة اسلامية ، اثر كبير في هذا التحول الاقتصادي والسياسي في عالم العصر الوسيط. وكانت نتيجة هذا التوسع الانفصال النهائي بين الشرق والغرب، ونهاية وحدة البحر المتوسط . فأصبحت افريقيا واسبانيا ، اللتان كانتا سابقا جزءاً من الغرب ، تدوران في فلك بغداد . واصبح البحر المتوسط بحيرة إسلامية . ولأول مرة ، انتقل محور

الحياة في اوروبا الى الشمال، وكان من نتيجة ذلك انتهاء الدولة الميروفنجية ، التي كانت متوسطية في توجهاتها ، وولادة سلالة جديدة هي الكارولنجية، التي اصبح مركزها في شمال المانيا .

تحالفت البابوية مع هذه السلالة الجديدة ، وافصلت علاقتها بالإمبراطور البيزنطي، الذي ارهقه الصراع مع المسلمين ، ولم يستطع الاستمرار بحماية البابوية من أعدائها . كل هذه النتائج اصبحت واضحة في عهد شارلمان، ليبدأ عصر جديد هو الذي أطلق عليه العصر الوسيط . فاضمحلت في الحقبة الممتدة بين سنتي ٦٥٠و٧٥٠م تقاليد العصر القديم ، وبرزت عناصر جديدة على السطح . لقد اكتمل هذا التطور في سنة ٨٠٠ م ، بتشكيل الامبراطورية الجديدة في الغرب، التي اصبحت منافسة للإمبراطورية البيزنطية في الشرق.

على الرغم من النقد الواسع الذي وجهه المؤرخون الغربيون لنظرية هنري بيرين وشككوا في صلاحيتها في تفسير التحول من العصر القديم الى العصر الوسيط، فان مجرد الربط بين عهد شارلمان ووصول الحضارة العربية الاسلامية الى جنوب أوربا، وسواحل البحر المتوسط ، والتداخل بين السياسات الكارولنجية والبيزنطية والبابوية والعربية الاسلامية، كان احد الاسباب الرئيسة التي دفعتني الى تتبع موضوع العلاقات الخارجية للدولة الكارولنجية ومدى ارتباطها بالتاريخ الاوربي الوسيط .

٨- **عوامل أخرى:** الى جانب الآراء المشار أليها سابقاً هناك عوامل أخرى أشار اليها بعض المؤرخين فيرى البعض ان سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب جاء بسبب انحلال مؤسسة العبودية التي كانت المعين الذي لا ينضب لتجهيز المجتمع الروماني بالقوى العاملة التي أسهمت في ديمومة الإمبراطورية ، الا ان انهيار هذه المؤسسة أدى الى ضعف الإمبراطورية الرومانية التي كانت تعتمد الى حد كبير على العبيد.

نستخلص مما سبق ان أهم أسباب سقوط الإمبراطورية الرومانية ما يأتي:

١ - العوامل الزراعية :

أ- قلة مصادر المياه.

ب-إهمال الري.

ج-سياسة الاكتفاء الذاتي نتيجة لفقدان الأمن وقلة الأيدي العاملة.

د- التشدد في جباية الضرائب مما أدى الى هروب الفلاحين.

٢ - العوامل الصناعية والتجارية.

أ- قلة المعدنين الثمينين الذهب والفضة حيث يمثل هذان المعدنان الوسيلة الرئيسة للتعامل التجاري.

ب- ان الصناعة الرومانية كانت للاستهلاك المحلي.

ج- اعتمدت الصناعة على نظام العبودية ولم يتم تعويض نقص الأيدي العاملة.

د- ازدراء الرومان للحرف الزراعية والصناعية لان هذه الحرف هي من اختصاص العبيد ولا يعمل الأسياد فيها.

ثانياً- العوامل الاجتماعية:-

أ- الصراع بين الارستقراطية والفلاحين ودخول الجيش الى جانب الفلاحين.

ب- انتشار الترف بين الطبقات الارستقراطية الحاكمة وإهمالها شؤون الحكم.

ج- انتشار الإمراض وعدم قدرة الإمبراطورية القضاء على هذه الإمراض.

ثالثاً- العوامل السياسية والإدارية:

١-إصلاحات دقلديانوس .

٢-هجوم القبائل الجرمانية وعدم قدرة الإمبراطورية الدفاع عن حدودها.

هذه هي أهم العوامل لسقوط الإمبراطورية الرومانية، ويتضح من خلالها ان ضعف النظام السياسي وعدم إيفائه بمتطلبات المرحلة أدى الى التأثير سلباً على العوامل الأخرى، اذ تفاعلت العوامل السياسية مع العوامل الاقتصادية والاجتماعية لتؤدي الى انحلال وسقوط المجتمع الروماني الذي تمخض عنه سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب (٤٧٦م) وبداية مرحلة جديدة في تاريخ أوربا هي مرحلة العصور الوسطى .